محمد أعروش

طويل هذا المنتصف

نصوص

اسم الكتاب	: طويل هذا المنتصف
اسم الكاتب	: محمد أعروش
الصنف	: نصوص
الطبعة	: الأولـى 2021
رقم الإيداع القانوني	: 2021MO3094
ردمك	: 978-9920-550-70-3
الإخراج الفني والتقني	: توفيق البيض

جميع الحقوق محفوظة

تصفيف وتصميم: دار بصمة لصناعة الكتاب

دار بصمة لصناعة الكتاب : Facebook

Mobile :06 61 48 24 04 Fixe :0535385317

E-mail: darbassma@gmail.com

مطبعة ووراقة بلال ش. م.م

100 ، زنقة المدينة المنورة، محج سيدي سليمان، حي الأمل، النرجس، فاس

الهاتف: 55 70 68 61 06 الفاكس- الثابت 03 86 61 35 05

E-mail :imp.bilal@gmail.com

الإهداء

إلى صباح مضى ..

و مساء يأتي بفنجانين .. و وردة

إلى الأطلس النابض بالعشق و الحياة

إلى المدينة التي تغفر لي زلاتي الكثيرة

أهدي هذه النصوص .

محمد أعروش

طويل هذا المنتصف

طويل هذا المنتصف .. و شامخ مثل الحنين في الذاكرة

وطن يمسي على أمل ..

يجهز الأحلام للساعة العاطلة عن ضبط توقيت الصباح

وجه دنسته الملامح الصامتة ..

و أنكرته المرايا

يطل من شرفة الحلم و يقول هامسا

اليوم .. هو نفس اليوم الذي نودعه

و ننسى خيبة الأمس لنعيدها في اليوم الجديد

يتسلل صوته إلى ثقوب يسار الصدر ..

و يتكئ على ساعدي

هذا الليل طويل جدا .. و الإنتظار لا ينتهي

فراشة تلون زاد الموت بضوء بعيد

تطوف حول شمعة .. و الغواية فيها احتراق

أين تنتهي كل هذه الطرق الطويلة ؟

يسألني صديق " زاده الخيال "..

يضع المعنى في حقيبته و يمضي ..

ضائعا في عقم السؤال

للحبيبة أرض .. و ليل يشبه حزني

و غرفة تطل على انعكاسي

تبعثر شعرها مجنونة بالإنتظار ..

و تنام في قلب شاعرها المنفي .. قصيدة آسرة

تغادرني الأسئلة الرتيبة ..

غاضبة من مشانق الفضول

و يضيق الجواب مختنقا ..

كالحرية و البراءة

نسيت أن اقول للصباح ..

لقد كان لي ليل .. و حب

فكم مزقتني الأغاني القديمة

و رممتني في المواسم الغريبة

و كان لي عطر .. أرش به ستائر قلبي

كلما خان الربيع فصل الحبيبة .

في حلم ما

في حلم ما .. قادني حلم إلى حلم آخر

لأجدني في حلم ثالث..

تعثرت بندبة قديمة جدا ، و سقطت في متاهات نصوص صديقة رفضت يوما أن تريني وجهها .قالت ..

إن الجمال جمال الروح .

فآمنت بما أوحته لي رسالة ما بعد منتصف الليل .

تقول فيها ..

أنت نبي العشق .تقرأ لغة الروح هداية كلما خفق الفؤاد حبا .

إنك تعيد اتزان نبض القلب حين تعصف به الخيبات ..

الحقيقة أني صدقت نفاقها الجميل .

راودتني فكرة جدية .أن أهجر قومي لأنهم لم يؤمنوا بي

أو آوي إلى مكان أطل منه على

المدينة لأحرسها من نوم مفاجئ ..

صرت أدعوها بالراهبة و القديسة و ال.. حبيبة .

كانت تطير فرحا ، بينما أحافظ على هدوئي

لأكون كما رأتني .. نبيها .

على ظهر سفينتنا .. حاولنا تقليد لقطة لبطلي التيتانيك .

فتحنا أحضاننا للريح . فآلمتني خفقة طائشة ..

طلبتها لزواج سريع وخجلت راضية

شعرت بدخان سيجارتي يتصاعد بشكل لولبي

نظرت إلى السماء و لم أجد بابا نعرج منه إلى غرفة نقضي فيها ليلة واحدة .

قالت ..لا تسرع ..

إن الغرف كثيرة في المدن الساحلية .

سنتزوج هناك أسبوعا و أكثر .

قلت .. يجب أن ننجب طفلا يمسك يدي عندما نصل بر الأمان

ويرث ما تبقى من قدسيتي و قدسيتك .

قالت .. و ماذا نسميه ؟

بينما كنت أنتقي من الأسماء أيسرها . أيقظتني حركات فأر

يبحث في كتبي عن مجلة حديثة ليقرأ برج حبيبته .

تركت حبيبتي هناك تنتظر مني إسم طفلنا

و دخلت حربا لا أفقه شيئا في خدعها و فنونها .

في الوقت الذي كنت أحاول فيه أن أقتل فأرا

كنت أردد ما قالته .. أنت نبي .. أنت نبي .

و في المرة الثالثة ، نطقتها مشيرا إلى قلبي: أنت غبي .

لن أنتظر أحدا

اليوم الذي سيأتي لن أنتظر فيه أحدا هكذا فعلت بالأمس ..

سأجرب كيف تشرب القهوة برتابة و متعة

و كيف تستطيع سيجارة واحدة

أن تغير شكل المدينة

وصورها الموسمية

سأخون كل شيء بقناعة .. لن أخسر شيئا

و لن أبالي بما ستفعله مذابح الحنين بداخلي ..

الإنتظار لعنة الذين يتخذون من مرافئ الذاكرة أمكنة لهم

هناك يشهدون كيف تغتال لحظات الفرح بخيبة صادقة .

لم يعد بوسع المساء أن يحمل آهات المتعبين من الصمت

و الغياب، هو الآخر يشعر بالتعب من كثرة ضجيج الأيام التي تشبه نفسها .

قالت النادلة بعد صمت طويل

سيأتي يوم جديد

ليعيد قصة يوم مضى

و يمشي على خطاه كأنه نفس اليوم الذي ودعته ...

و ستنتظر أحدا .

إليها ..تلك التي علمتني كيف أدمن المساء

ماذا أسميك .. و أنت الأسماء جميعا ؟

أسميك فاكهة حب

أسميك بوصلة عاشق أدمن الإغتراب

أسميك .. ماذا أسميك ؟

للغربة و الرحيل وجه واحد

و لعنة واحدة .. وأوجاع كثيرة

و أنا الشريد الذي ضيع عنوان أمه ..

و لذة الإنتماء

لا أثر للموت على جسد الموت

لا مكان في قلبي لخيبة جديدة

قدري أنت .. و المصيبة أنت

أنت الوجع و أنت الفرح...أسميك منفاي البعيد

تحملين أوتار قلبي و تغردين أشجانك من شرفة الغياب

لا لون يليق بك إلا لونك

لا ظل لي لأجرب صمت الحواس

هي الأيام شاهدة على نبض الحنين

و شاهدة بأنا كنا معا ..

نرتب موعدا بقهوة المساء

و نحصي العمر الذي يضيع في الغياب .

ذاكرة العيون

في ذاكرة عيني

تحيا كل الصور شامخة على معبر الذاكرة .

تصحو حين أغفو .. و أراها

و حين أصحو .. تغفو كي لا أراها

هي الصور هكذا في المدن المسافرة

لا تنسى طيف لون من حنطها

و لا تذكر هدب من كان يحملها

تعانق وهما إذا نام المصور

أو غاب في الأمكنة العابرة

تكتب بالهزيمة تاريخ ضعفها

و تحفظ صوت قاتل لم يودعها

لا شيء يشبه الوداع غير الوداع

أو الموت شوقا على مرفأ الذاكرة .

كيف أقول لمن غادرتني قبل أن تغادرني

هبي نسائم عطر على قلب ثمل

و اسكبي حزنك فيّ هما بما حمل

أنا المقيم خلف عيوني و بين الصور

أرتب صدق الأمنيات

و الأحلام المهاجرة .

صور ناقصة

أمامي الآن صورة لم تكتمل بعد، أحاول تركيب أجزائها لتتضح لكنها تأبى الوضوح.. و كلما اقتربت من إتمام شكلها المتخيل بداخلي، تتساقط الأجزاء واحدا تلو الآخر، و يصبح المدى فراغا.

المجد للمساء.. إنه لا ينتظر و لا يودع أحدا.. و لا يتعب نفسه

في تشكيل صورة لا تتشكل إلا في اللحظات المهملة.

كلما شعرت بأني على وشك الوصول إلى مدخل الإدراك بالأشياء التي لا أعرفها، تبتلعني سراديب اليقين و أتيه في دروبها عاريا من أفكاري و مبادئي.

و أصير ظلا يمشي على الجدران و لا أسقط أبدا..

" كم جميل أن يتخذ المرء شكل الظل

ليكتشف طرقا جديدة للمشي".

أحاول الصراخ بكل ما في رئتي من نفس، و لا يُسمع لي صوت..

أتفقد حنجرتي و أداعب تفاحة آدم عساها تكتشف شكلا آخر للجاذبية.. لكنها لا تسقط. لقد صارت مثل الظل الذي كنته... تتسلق

حلقي لتكتم مرارة القهوة التي لم أدفع ثمنها لزبون ألهته تصريحات لاعبة التنس.. مسكين هذا الزبون، لا يفهم ما تقوله اللاعبة .

لكنه مهتم بها و يشرح ما تقوله حسب منطقه و هواه

فلتذهب الفناجين و القهوة و الزبناء إلى ما وراء الجحيم.

قلت له ذات مرة.. لم أدفع لك ثمن قهوة أمس.. رفع حاجبيه

و قال بصوت شبه مكشوف" لا أعتقد أنك ستفعلها"ونسي أمري

تاركا إياي أبحث عن صورتي التي لم أنجح في ترتيب هيئتها

هل نسيت ما أريد قوله؟

يبدو أني مصاب بداء الكسل.. أعجز عن الكلام حتى في اللحظات التي يجب أن أتكلم فيها

أترك كل شيء يمضي كما يشاء، مستمتعا بي وحدي.

و سأشغل نفسي قليلا بصورة تسكن الضباب.

أصمتوا .. إنها تكرهني بحب عظيم

أصمتوا .. لا أحب قهقهاتكم ..لماذا تضحكون إذن ؟ لا شيء يستحق ..

العالم فوضوي و مبعثر .. و مبتورة أطرافه.

يجب أن نبكي صدقا و نحزن .. لا شيء يشجع على هذا الهراء و التفاهة و الغباء ..

لا شيء!

لا أحب الأغاني بعد منتصف الليل .أحب كأس نبيذ و سجائر

وغرفة تطل على الظلام ..أنظر من شرفتها إلى السكارى

وهم خاشعون بسبب " تورني " إضافي يجعل اللاوعي يستيقظ في الشعور

السكارى صادقون إذا ثملوا .. أنا أيضا ثمل .. لا أعرف أنواع الخمور المعتقة ،لكني أحب شكل البيرة أكثر .و طعم الفودكا في موسم البرد.

لا أشرب الخمر .. لست سكيرا كما تتخيلون ..

" جربت العربدة ذات صيف في زنقة وجدة و نجوت من المبيت في مخفر الشرطة "

أنا أحتسي حبها أنخابا سرمدية الإحتلال.. منتشيا

وأدخن صمتها كلما تعطل الكلام .

الآن ..لقد تجاوز الوقت منتصف الليل ..أبحث عن أغنية تحدثني عن

ريش عصفورة حطت على غصن قلبي .. و تحدثني عن

الحزن الذي اتخذه شارع قلبي عنوانا له ..

لا أغنية واحدة تستطيع أن تجبرني على الإستماع .

لا أغنية تترجمني كما أشتهي

لا شيء يطربني إلا شغبها اللذيذ .. لم أعد لي

منذ أن تورطت في حبها ..

" لقد تركتني فيها " .

أصمتوا .. إنكم لا تعرفون متى تضحكون و متى تبكون ..

لا تعرفون كيف تمشون بأدب على أرصفة القلوب ..

إياكم أن توقظوها

هي الآن نائمة في قلبي !

الغربة آخر الليل .. سفر عبر الصمت إلى ثرثرة خرساء

الموت حبا لتجربة نبض الحياة ..

الحنين الموقظ للعتاب

تبا لهذه التفاصيل التي لا تعرف إلا النبش في رفوف الذاكرة

أصمتوا أرجوكم .. لا أحتمل هذا الكم من الصمت .

يا أنت....سأشتاق للمساء و القهوة والمطر

قالت ..أكرهك بحب عظيم !

غربة المدينة وحالة عشق غريبة

مساء آخر يضيف خيبة النهار إلى رصيد الهزائم ..

و يطرز بالأمل يوما جديدا بعبق المكان النابض في الذاكرة

تقول المدينة هامسة في أذن العابرين ..

كان هو الوحيد الذي أنار غربتي في ليالي الشتاء الأخير

لم يكن يمشي على أرصفتي فحسب ، بل تسلل إلى دروبي التي أخفيتها عن المسافرين الذين لا وقت لهم ليتأملوا وجهي في مرايا قلوبهم ..

كان يرسل لي بطاقات حب كلما هاجمني الشوق لأغنية شريدة ..

و كان أغنيتي التي تعزفني مقامات أطلسية الشجن و الحياة ..

رأيته مرة في مقهى غريب ، يرتب طاولة بمقعدين ..و يجلس وحيدا .

ينظر في اتجاه عينيها على طول المساء ، يمسك كفا بكف

ويختار الصمت لغة له ..

يقرأ في عينيها مواويل تنساب زلالا على شغاف القلب ..

يرتل أحزانه بخشوع في محراب حبها ..

و يقفان معا ليعانق فيها أناه التي تشاكسه بتطرف .

لم يخن يوما غيابها إلا مع حضورها المحتل سواحل أيامه ..

يسكب بقايا رشفة أخيرة في فنجان الوداع ، و يلوح لها من نافذة اللقاء ليقبلها في آخر السفر ..

لقد كان عاشقا يبحث عنها في كل ألوان السماء..

الآن صار عاشقا يحمل إسمها وشما في يسار صدره ..

كل خفقة تنطق حرفا !

هو ابني .. و أنا أعرفه "

لا مكان للمكان في مدينتي

في مدينتي .. لا مكان للمكان بين الأمكنة .

البيوت القديمة من كثرة الإنتظار صار لها لون الإغتراب

تنعي المسافر الذي لم يسافر و ترثيه بموسيقى الصباح ..

و يسافر إلى آخر الليل حاملا ذكرى الضياع الأول

في مدينتي .. السماء شاحبة مثل وجه أرملة فقدت زوجها في حرب لم يخضها بقناعة ..

تمطر أياما لا تشبه أيام المدن البعيدة

لا فرق بين مساء الخميس و صباح الأحد .. و لا فرق بين ماسح الأحذية ومن يحمل وجهه بكفه ليقال عنه مثقف المدينة ..

لا فرق بين أحياء مدينتي إلا بالأسماء .

السكارى يبكون ظلم المدينة لهم و يسمونها بما ليس فيها ..

العقلاء يشتمونها لأنها ترحب بالغرباء ..

الفقراء يتحسرون على فقدان الحظ فيها ..

الأغنياء يهاجرون منها و لا يعودون إليها

إلا ليحملوا ما تبقى فيها

السياسيون وحدهم يحبونها لغاية يعلمون نجواها .

في مدينتي .. فقد الخبز لونه الأصلي . و ذابت حسرات الكادحين في

أنابيب المياه .. صرنا نشرب ملحا ممزوجا ببكاء العاطلين

الذين لا هوية لأحلامهم .. ونقول الحمد للّه !

في مدينتي .. صار البؤس طائرا يحلق حزينا لينثر عنه رماد الكسل..

يبني عشه في نوايا القابعين خلف جدران الأمل ..

وسيعود إلى غصنه شريدا

يعود .. وقد فقد المكان وفقد والإنتماء.

صباح جديد

صباح جديد ليوم يشبه أمسي

الساعة لا تضبط الوقت إلا بالأبيض و الأسود

وجبة تكاسلت على صدر الأيام

و نغادر هذا المكان أزواجا يد في يد ..

و خطوات ترسم اختلاف السير إلى حلم الوصول

نلقي التحية لمن لا يرد مثلها ..

و نبتسم ساخرين على صدق السلام

هنا كنا ..هنا ترددنا في المشي إلينا

و تصافحنا بتلويحة من بعيد.. و نظرة !

هنا .. ميلاد الأرض و الحب

لا وطن غير هذا الذي اتخذناه منفانا

لا شيء يفصلنا عنا

أغنية تولد من شجني

و هذا الناي يسكب للمدينة نخب الحنين

يلملم ثقوب القلب ..كي لا يشبه لحني

و الآن أسألني ..

أهذا يوم جديد ليومي ؟

خمرة الأحلام

أستيقيظ منتشيا بخمرة الأحلام الضائعة بعد فجر الأمنيات

و أنا أكثر إصابة بداء الإحتمالات التي لا تشير إلا للفقد والغياب

أفتح نافذتي التي تطل على الفراغ لأرى ابتسامة الحبيبة

في وجه وردة تتسلق جدارا منسيا لتزهر بعيدا ..

لقد أدمنت مخاطبة طيفها بعدما رسمت شرفة

تليق بإطلالتها في آخر الليل

أكسر كؤوس الليل الكاذبة و أترك شظاياها مبعثرة بداخلي لتمزق ما يمكن تمزيقه كي أفقد معنى الشعور

أدرب خطواتي كي لا أفقد الوقوف على الأرصفة التي خذلتها الأقدام العابرة قبلي ..

و يهنئني الشارع الوحيد الذي أعبره جاهلا بإشارات المرور .

يقول لي صديق لم يعد قادرا على الكلام

ماذا يقال في المقاهي التي صارت أطلالا ؟

و أين النادلة التي كنت قاب قوسين من الوقوع في حبها ؟

أخبرته أن الأمر بقي على حاله .. لكن النادلة لم تعد تسأل عنك

ودعته و هو يستعد لطرح سؤال ثالث .

لا قدرة لي على الإجابة رغم بساطتها

فصديقي لا يثق في كل ما يقال له

كلما كانت الردود عكس توقعاته و منطقه

لقد وصلت الآن إلى ركني في المقهى ..

أهيئ نفسي لحلم آخر يجعلني أصدق أن الخيبات تعرفني أكثر !

سألملم كل الكؤوس التي كسرتها

لأبدأ ليلة جديدة بوعي تام .

هكذا يستطيع المرء أن يعطل كل الحواس

المحرضة على النبش في رفوف الذاكرة .

الخروج عن النص

عندما قررت الخروج من رسالتي لأصافح الذين لا أعرفهم ..

ضعت في أول خطوة أخطوها

لم أجدني بين المشاة الذين يحددون وجهاتهم

كنت أبحث عن لغتي التي أحدث بها أناي

ولم أعثر عليّ خارج كلماتي ..

تلعثمت عندما حاولت أن ألقي السلام على الوحيدين مثلي ..

و خانني النطق السليم

إلى متى سأبقى منفيا في لغة لا تفتح لي حدود السفر إليك ؟

كان بإمكاني أن أكون عكس ما أنا عليه الآن لو جاءتني رسالة

من صديق أو صديقة .. لا يهم من سيكتب لي

أريد أن أشعر أن بإمكاني تمييز حالات الكسر من حالات النصب

كل الذين كتبت لهم لا يجدون متسعا من الوقت ليلقوا نظرة خاطفة على ما كتبته لهم ..

رسائل الصباح تدركها رسائل المساء

وتجتمع التحايا حتى تصبح نصا غير صالح للقراءة ..

أوله صباح الخير و آخره تصبح على خير .. وهكذا .

هل يعلم النص الذي كنت أكتبه أني لا أستطيع الخروج منه

لأكون أنا ؟

لا أعتقد ..

إن الكتابة بعد الثالثة صباحا تحتاج إلى حلم لم يكتمل

و علبة سجائر و أغنية تصف الخراب

هكذا يمكن للمرء أن يكتب عن

الإهمال و الضياع و الموت

و يغلق باب الفضول كي لا تزعجه أخبار الرابعة صباحا

و لكي لا يقرأ كيف ماتت سارة

سارة كتبت أنها ستموت بعد بضع دقائق ..

و نفذت وصيتها بقناعة . لأنها لم تعثر عليها خارج فكرتها

هل يعلم الذين نحبهم أن رسالة قصيرة جدا تستطيع أن تنقذ شخصا من الوحدة .. رسالة واحدة ..و قصيرة جدا ؟

كم عدد الذين اختنقوا بدخان الحسرة و الخيبة

و هم وسط الزحام ؟ لا أحد يعلم .

لكنهم كثر .. و كان من الممكن إنقاذهم من الموت بنظرة أو عناق

سارة كانت تحتاج إلى وقت قصير كي لا تنتحر .. لكنها خرجت مسرعة من مسرحيتها الخالدة)*

(و ماتت في غرفتها .. وحيدة.

لا أحد

قال ...

أنت الآن في الركن المنسي في قلب أحد .. في زاوية لا تشرق فيها شمس العناق منسي حد العدم .

لا شيء يتفقد حواسك أو يرفع حاجبيه لينظر إليك

ولو نصف نظرة

لا أحد ...

تسأل نفسك أكثر من سؤال ..

تصمت طويلا ثم تجيب نفسك بتنهيدة بطيئة جدا

و تواصل طرح الأسئلة ما دمت تعرف أن ليس هناك جواب .

مضحك هذا الأمر .. لكن وقعه أقوى من الضحك . لذلك تعتذر لمن يبادلك ابتسامة بريئة بابتسامة غير صادقة ..

و تحسده عليها لأنك أكثر يقينا

أن لا شر أكبر من شر حاسد إذا حسد ..

تبحث عن مكان لا يراك فيه سواك و لا تعثر عليه

تستسلم رغما عنك و تجلس حيث لا يجلس أحد..

نظرات المنتصرين على الوقت تتفحصك دون خجل ..

تلعنهم جميعا بكلمة واحدة .. و تغير مكانك بمكان آخر لا تصله قهقهات الذين لا يبالون بما يحدث ..

تفاجئك متسولة بدعوة مبسترة

تتذكر أنك في أيام يسمونها " لعواشر " .

ترفع يديك إلى السماء معلنا شارة الإفلاس ..

و تمضي نادمة على دعائها الذي لم يثمر فيك .

تنسى قليلا أنك لست وحيدا .. هناك من يراك و لا تراه ..

تنسى .. ثم تذكر من جديد أنك منسي في زاوية ما .. بقلب أحد تبكي سرا كي لا يراك من تراه ..

هناك .. تجلس مع الحزن كصديقين .. ترتشفان من فنجان واحد .. و تدخنان سيجارة واحدة ..

و تمشيان معا في اتجاه ما ..

حيث لا أحد ....

يحدث هذا كله .. كي تستطيع الكتابة إلى ... أحد.

قلبي راية حب في وطنك

لأنك من سلالة الفراشات،

لم يعرفوا كيف يقيمون حفلة من شموع

تكون بردا و سلاما لك.. لقد أشعلوا الحرائق من كل صوب

وجلسوا ينتظرون كيف تتم النجاة بعد الإحتراق

فاكتوت عيونهم و لم يشهدوا رقصتك في بساتين قلبي

أنا يا حبيبتي لا أحب التقليد في الحب، فالأشياء الجامدة جدا

هي من يليق بها الإستنساخ. أما الأرواح فإن لها مفاتيح لا يدركها إلا الراسخون في العشق. و هذا هو الفرق بين من يحول حبيبته من كائن يمشي على الأرض

إلى قديسة تسقي الغيم بنهد الثورة

والجنون، و بين من يختزل الطريق ليقول بكل سهولة " أحبك".

النساء لا يردن الإختزال في الوصول مبكرا، إنهن يستمتعن بطول السفر و اكتشاف ما لم يتم اكتشافه في الخرائط المعلقة على

الأجساد الجاهزة.. النساء يكرهن سماع الأغاني الموقظة للحب، إنهن يردن أن يكن هن الأغاني المترجمة لما وراء هدب العاشق

الحامل للعنة إدمانهن.

النساء أقدار و مصائب.. و كثيرون من المتعوذين من شر المصائب لا

ينعمون بوطن على شكل امرأة

إنهم يعيشون دائما على هامش الشوق يتسولون العطف

عندما كنت أرتب مقامات حبي لك، كنت في كل مرة أكتشف فيك إلهاما جديدا، و أنغاما لم تعزف من قبل ، كنت قيثارة مسائي

التي تنقذني من مخالب الغربة.

أعزف لحنا غريبا و تجيبين بأن أوتار قلبك لم تعد تملك المقاومة..

فنسجنا معا أغنية تجسد العلاقة بين

غريبين.

هكذا سلكنا دربا لم يسلكه العاشقون قبلنا،

و مضينا إلى حيث لا ندري..

أليس الحب هو أن تسافر و لا تعرف عنوان من تحب؟

أنت يا وحيدتي وطني الممتد من عينيك إلى ضحكة تفرجين عنها حبا في حرية الشفاه.

وحده علم قلبي يرفرف عاليا فوق مدن قلبك .

سلام على مواليد برج الشقاء

للذين يسافرون و لا يودعون أحدا

يحملون مآسي الوطن في حقائب الصمت

و لا يفتحونها إلا ليعيدوا ترتيب أنينها .

للذين لا يشتكون من الغدر .. و يبتسمون كأن شيئا لم يقع ،

و في قلوبهم جبال من اللوم و العتاب ، لكنهم لا يلومون أحدا .

للذين يوهمون الناس بأنهم قد ناموا جيدا ..

لكن لم يغمض لهم جفن . و حين يصبحون يمسحون

آثار الأرق من عيونهم

ويبتسمون في وجه الحياة بسخرية .

للذين لا يتكلمون كثيرا .. و لا يشتكون .

و بداخلهم انفجارات لا يسمع دويها إلا هم .

لكل الذين سقطوا أرضا حين حاولوا وضع أولى خطواتهم في درج الحياة

.

فقاموا بسرعة و تسلقوا جدران الأمل

ليعانقوا أحلامهم . و لم يعانقوا إلا الفراغ .

لكل هؤلاء .. أمد يدي لأصافحهم بحب

و أقول ..مساؤنا.. و صباحنا أمل

يا معشر مواليد برج الشقاء .

محطة الضياع

في محطة الضياع . الكل يحزم حقائبه بصدق استعدادا للرحلة التي لا أحد يعرف عنها شيئا .

لا أحد يعرف موعد الإنطلاق و لا موعد الوصول .

قطار الأيام تعطل في منتصف الإنتظار

و بقينا نراقب الساعة المشيرة للرحيل ..

ضائع يدردش في الشوط الأخير من الحظ . يعتقد أن الكلام في الوقت الضائع يجلب هدفا شرفيا على الأقل ..

تسأله ضائعة تتكئ على حقيبة غريبة لضائع آخر ..

من أين أتيت و إلى أين تمضي ؟

يجيبها بصدق .. أبي كان عاشقا منذ الصغر . لكنه لم ينل حب أمي التي أحبت رجلا مر بذاكرتها ذات لحظة طائشة

فأنجبتني عشقا لأشبه ذاك الذي ضاع منها

و لا تعرفه ، فعاش أبي شقيا و عشت بينهما ضائعا

أخرجت سيجارة أخيرة من جيب معطفها

و أشعلتها في صمت ثم بدأت في التهامها ..

قالت له بحزن ....

تذكرت شقائي عندما كنت أبيع السجائر

و أنا طفلة صغيرة جدا .. لا أعرف كم كان عمري لحظتها

كنت أعرف فقط لغة الضياع . و عندما أدركت أن النظرات صارت تهتم بمؤخرتي و نهداي

غادرت المدينة و ضاعت الطفولة .

لقد كبرت فجأة .. لكني ضائعة

وصل القطار قبل المساء بقليل و فرحنا .

سألنا السائق ..

إلى أين أيها السادة الضائعون ؟

أجبنا بصوت واحد . خذنا إلى حيث تمضي

و لا تسألنا .فقد سئمنا الأسئلة ....

و ضعنا جميعا ..

و ضاعت أسماؤنا في ذاكرة السفر .

نص عشوائي

كأننا نتدرب على الخداع يا صديقي نحن الجالسون على جنبات الطرق التي لا يعبر منها عابر .. ننتظر مثلا يوما جديدا لنختلف

فيه على لون الشمس. و على عدد العاطلين عن العمل

و على كمية الخبز التي تستهلكها المدينة بأحيائها الراقية

و العشوائية ..و سجنها

نتفق قليلا على أن سعر البنزين يجب أن يرتفع لأننا لا نملك سيارات .

و نختلف أكثر على أثمنة مساحيق التجميل التي تجعل

من عيون النساء و شفاههن لغة مصطنعة ...

لا شيء سنربحه نحن أو نخسره ..

إننا فقط نناقش ما يمكن أن يحدث لو تم منع بيع حبوب الحمل في الأكشاك و المكتبات

و في جميع محلات التغذية العامة .

ضحكنا حين اقتربت منا كلبة يتبعها قطيع من الجراء ..

" إليك نتائج منع حبوب الحمل " قال لي صديقي ..

ندمت قليلا على ضحكتي ثم عدت للضحك من جديد قائلا ..

بل نتيجة متعة "كلبوية" يا صديقي ..

سمعت أن كلابا تحظى بالرعاية الطبية و التغذية السليمة و لها رواتب شهرية

و أسماء جميلة جدا ، لكنها لا تلد في أغلب الأحيان..

لها كل ما كان يجب أن يكون لنا من حقوق لو .....

اختلفنا في طريقة الصمت ..

كل واحد منا يبحث في جيبه عن سيجارة مفقودة

" يا له من يوم رائع " تمتم صديقي ..

و واصلنا الصمت . نراوغ الواقع كي لا ننخدع .

لا مكان للأجوبة

وجوه المارة بئيسة جدا

قطع الحلوى مهملة على عربة المساء

طفلة تحنّ لضفيرة بعدما فقدت شعرها

و تغطي وهم الطفولة بحلم السنابل

تسألني سيدة لا تعرفني :

من أين يأتي كل هذا الشقاء؟

أشير بصمت إلى طفل يرتق أحلامه ليصنع مدينة

يمسح الأحذية بشموخ..

و يتبول على قلوب من مددوا له أرجلهم

ليزدادوا اتساخا

بائعة الهوى تنمي وطنا كي لا تصاب بالكساد في تجارة الرصيف

أعمى.. يعيد رسم شكل الشارع في ذاكرته ليعبر بأمان

يرسم عيونا لعكازه...وُمَتّبها

لعله ينقذه من سيارة أمن.. أو دراجة طائشة

البائسون في كل ممر يناقشون حزن المدينة

يقتلون الوقت بلعبة الشطرنج..

كلهم خاسرون في هزم الملكة

و يصفقون.. لأنهم نسوا قليلا .. ما هو البؤس

قالت...

لا الطفل طفل في هذا الوطن

و لا الشيخ و لا النساء

وحّد الذل كل النظرات و الأسئلة

هنا....لا مكان للأجوبة.

صباح الأحد

بائعة الحرشة لم تعد تتقن ابتسامتها كما في مساءات الأيام الأخر.

إنها غاضبة جدا و لا تنظر بعيدا، نظراتها لا تتعدى حدود الطاولة التي تقطع عليها مثلثات الحرشة..

أخبرتني ذات مرة أنها تنتشي بقطعها

و كأنها تذبح كل الذين عبروا قلبها عن طريق الحب

هذا الصباح تأكدت أنها تذبحهم دون رحمة .

بائع اللبن الذي يجوب الدروب مناديا..

اكتفى بالصمت طيلة صباح الأحد،

و حين مر بجوار منزلنا و لم يسمعه أحد..

تساءلت نسوة الحي بعد العاشرة صباحا عن سبب اختفاء اللبن،

و عقدن ندوة ناقشن فيها فوائد الإستيقاظ باكرا، لكن الحيز الأكبر

كان مخصصا للحديث عن الدورة الشهرية

و أعراض الحمل و إفشاء أسرار أزواجهن وقت الجماع..

و كلما انسحبت إحداهن من اللقاء، نمنمن فيها

و أوجدن فيها عيبا و اتهمنها بالغرور

و " الشيكي".

في الشارع المؤدي إلى ملتقى الطرق،

يضيع العابرون بين العبور و المشي بلا هدف...

لا غاية يدركونها و لا " هم يحزنون".

إنهم يمارسون العبث و ملء الفراغ

الذي يحثهم على قتل الفراغ و لو مشيا لتنشيط الدورة الدموية كما قال لي رجل متقدم في السن.

لعنته في صمت و قلت..

لا فرق بينك و بين نساء الحي مادام الدم هو مشكلتكم.

القهوة في صباح الأحد لا طعم لها..

إنها لا توقظ القلب من هزيمته..

أينتصر الحب بعد هذه الخيبات كلها...

بعد صباح الأحد؟

آخر الليل

آخر الليل.. لا صوت و لا همس و لا هم يحزنون.

الفراغ منتشر في كل ذاكرة تعمها الفوضى و الإحتلال .

النوم نسي عناوين العيون المصابة بالأرق

و صار منفيا في الوطن الغريب، حيث الشوارع كلها تمنح حنينها بالتقسيط لكل عابر يبحث عن نقطة العبور.

في مكان ما، وجدتني.. و حين مددت يدي لأعانقني، لم أستطع.

نظرت إلى السماء مقتفيا أثر قمر يتقن فن ضبط عده التنازلي،

و تذكرت بوصلتي التي كانت تحدد لي شمال الحب من جنوبه.

تفحصت ملامح أناي التي كانت تدخن غليون الفجر مع حارس ليلي، قلت مع نفسي..

لعل الدخان الذي ينفثانه يشير إلى جهة الريح..

للأسف... كان الدخان يتصاعد بشكل عمودي منتشيا بإزرقاق لونه، و لم يستجب لتوقعاتي التي كانت ستدلني

على وجهتي التي لا أعرف عنها شيئا.

صوت المؤذنين من كل أنحاء المدينة يرددون

" الصلاة خير من النوم". تساءلت... هل نمت أصلا ؟

طبعا لا، أنا مستيقظ ، وربما نائم في مكان ما و لا أذكر

إذن يجب أن أعيد تجربة العناق لعلي أضمني بعدما فشلت .

في المرة التي وجدتني فيها ، فتحت ذراعاي و كان الشارع الوحيد يقول لي... هيت لك

تمالكت نفسي ثم استسلمت للعناق... لقد عانقت الشارع أيها الحارس الليلي. فلا تبدي غيرتك و لا تحرم ما لا تستطيع فعله.

هكذا قلت له و هو مسترسل في الحديث عن غليونه المبارك، الذي رافقه طيلة رحلته الليلية.

أخذت صمتي معي دون أن أودع أحدا، تجرني الجهات كلها

و لا أعرف أيهن تقودني إلى الوطن الحق

بينما أنا في حضرة الشارع و الليل، أبحث في السماء عن أثر القمر.. همس لي قائلا :

الوطن الذي تضيع الأقمار في سمائه

يستحق الرجم سبا حتى المسخ .

العزلة

كثيرا ما ألجأ لهذا العالم الخاص جدا عندما أشعر بعدم الإنتماء للواقع ... أو بعبارة أصح و أدق

عندما أعجز عن استيعاب ما يقع

أفر إلى السكون و الوحدة .. أخلق هناك شخصيات متخيلة.

في الحقيقة هي موجودة في كل واحد منا لكن هناك

من لا يعطيها فرصة التحدث

أناقشها في كل شيء، بحياد و بدون مجاملات

نحتسي معا قهوتي و نراجع أوراقا مهملة في رفوف النسيان

نستحضر كل الذكريات التي مرت .. بأسى و حسرة

أنسى أني من هنا .. لا أجد لي أثرا في شوارع مدينتي ..

و لا في مقاعد حدائقها

أتسكع في عزلتي كما أشاء ..

و أجوب أمكنة مستوحاة من الصمت و التأمل

كلما حاولت ترتيب مسودات الأيام .. زدتها إهمالا .!

في مكان ما .. هناك أنا .

طيف يحادثني بجهر و أبتسم له بصمت كي لا يسمعنا الواقع

أنظر في الأفق طويلا ..

لا شيء يعجبني هنا غير حمرة الشفق

أشير بأصبعي إلى خد المساء و يحمر خجلا

تقول الظلال التي ودعت أغصانها

غدا نلتقي .. و نولد من جديد

تأتي الطيور محلقة فوق المدينة

أعدها إلى آخر رقم يطير

أتعثر بي في سيري

و نعود معا .. أنا و عزلتي

نعود ... كي لا نفترق .

مدينة الأخطاء

أجلس في المكان الخطأ.. الوقت أيضا خطأ..

و الكلام الذي أسمعه من حولي.. خطأ

رجل في الستين من العمر يعتبر الحياة خطأ.. يقول بأنه ضيع فرصا كثيرة و تهاون في المعارك كلها حتى انهزم عن طريق

الخطأ.. يتأسف بحسرة على شبابه الذي أهدر أيامه في الرهان الخطأ... هو الآن بجواري يدخن سيجارته الثانية، و يعد الأخطاء

يقول لي وهو واثق من نفسه... كل الذين ولدوا.. و سيولدون في قادم الأيام، ستكون ولادتهم خطأ. فالجنس في بلادي أوله لذة،

و ما بعد ذلك دفع ثمن الأخطاء. و هكذا.....

حين مددت يدي لقهوتي أوقفني محذرا.. هذا ليس فنجانك،

إنه لي.. و عندما أعدت ضبط عيوني وجدتني حقا قاب قوسين

من ارتكاب الخطأ. ابتسمت له بلطف معتذرا

و تركته يشعل سيجارته الثالثة من المكان الخطأ

قبل يومين.. كنت في ضيافة " خالتي هنو"

وجدتها شاحبة على غير عادتها

مازحتها كما تعودت أن أفعل، لكنها لم تستجب لدعابتي . و جلست بجوارها صامتا... سألتني كم الساعة الآن ؟

أجبتها بأن الوقت في مدينتي غير مضبوط و لا داعي لهذا السؤال. حركت رأسها موافقة ثم تنهدت قائلة... معك حق

بينما كنت منهمكا في سفر خاص،

استيقظ فيها الكلام الذي عهدته

قالت لي بحزن..

كل شيء هنا خاطئ.. لقد تزوجت كباقي النساء، و لم يكن الحظ نصيبي. أطفالي الذين أنجبتهم أتوا بشكل خاطئ.. لم أحصل يوما

ما على ممارسة متكافئة ليكون لي حق الرضى و الموافقة

كنت مجرد جسد على سرير الرغبة ألبي نزوات زوجي الأناني

وعندما قلت له ذات يوم بأني لم أعد احتمل هذه الحميمية الناقصة. طلقني وأتى بأخرى في اليوم الموالي لأنني " ناقصة"

ها أنت الآن ترى ضريبة الأخطاء..

لا زوج و لا أبناء و لا أي شيء

سمعت بكاء في الخارج ، و عندما أردت أن أعرف السبب.. قالت لي اجلس مكانك. كل ما في الأمر أن جاري الذي يعاني من ضعف

القلب، فارق الحياة في غرفة الإنعاش قبل قليل بسبب خطأ طبي

و قبله بشهرين ماتت زوجته الحامل بالإهمال الطبي نفسه...

لقد ترك المسكين منزله فارغا

و ربما سيكون وجبة لإخوانه مباشرة بعد دفنه

أمسكت رأسي و بدأت صور الأخطاء

تعبر شريط السنوات دون حصر..

كم من صفقة تم تفويتها عن طريق الخطأ..

كم من حالة وفاة في المستشفيات سجلت عن طريق الخطأ

كم من سجين يتعايش مع تهمة لم يكن له فيها ناقة و لا جمل

و يتقبلها عن طريق الخطأ

كم من علاقة حب لم تعرف طريقها نحو الحب بسبب كثرة الأخطاء..

كم من الأهداف سجلت في الوقت الميت بسبب الأخطاء

كم و كم و كم من الأخطاء التي عكرت صفو الحياة؟

يجب أن أغير هذا المكان، فلا طاقة لي على احتمال المزيد من الصور ..

و الأخطاء.

منتصف الحلم

منتصف الحلم.. في الذاكرة أسماء ضبابية بلا لون و لا شكل، تحاول أن تتكون قبل أن تدوسها فراشات الوهم

و تصيبها لعنة الاحتراق ناسية ثورة تفتح الورود

الليل.. يتكاسل في إعداد وليمة الفجر..

يتلكأ عمدا ليوثق ما تم طيه في سجل الغياب، و يعجل بحضور امرأة تنبعث من رماد الحسرات..

امرأة لا تقول " لا"....

إنها مشروع للتحدي و النصر

يقول الحالم للحلم، أحلم كأني لا أحلم..

لا صورة واحدة أضبط بها شكل الخصر

و لا ساقا عاريا.. فيغادر الحلم صاغرا إلى زاوية الفشل حاضنا خيبته في انتظار ولادة نهد يسكن لا وعي الحالمين

سماء هذا المساء تغري بالتحليق

نكاية في يمامة تترك جناحيها للريح،

تعيد ترتيب ريشها الذي بعثره بناء عش يشكو فراغ حصيلة موسم التوالد، و هي العالمة بأن الهجرة عنوان نهاية مرحلة حب لم يثمر غير التعب

ترسم سربا من صغارها و تعلمهم كيف يحلقون مثلها..

تدلهم على البيادر ليلتقطوا بقايا حبات القمح المنسية

ليغدوا بطانا قبل أن يحزموا أجنحتهم لسفر جديد

لكنها تجد نفسها وحيدة كلما نظرت خلفها

و لا ترى غير ذيلها المتفتح بعناية

و تقول " لقد كنت أحلم".

ما أجمل الحلم الذي لا يتم...

إنه يبقينا على قيد حلم جديد رغم مرارة الاستيقاظ

و مواجهة واقع أليم.

زهرة وحيدة في حديقة منسية

زهرة وحيدة في حديقة منسية

نسائم الصباح نسيت عناوين العصافير المهاجرة

و صارت ريحا تمارس هواية كشف الصور

سنابل أبريل .. لن تذكر إسمها عندما

تصير حبوبا في بيادر الفراغ

العشب الذي لم يعمر طويلا

هو الآخر وحيد مثل زهرة وحيدة

يبكيان حظهما اليابس .. و يرحلان في الفصول

صديقي يسأل قيثارته بأنغام حزينة

و يلقيها حين لا تجيبه كما يشاء

يقول ..

أبحث عن حديقة منسية

لعلها تقودني إلى زهرة وحيدة

و يرحل أيضا في كل الفصول .. شريدا

المكان الذي لم يكن يوما مكانا

أنبت ظلالا فاسدة

لن تكون للعابرين مكانا

هي الآن عاطلة مثل الذكريات

و مثل حكايات قديمة

يلوك الصغار تفاصيلها إنتشاء بالطفولة

يعلقون عليها أصواتهم

و يرحلون بعيدا ...

لم تحلم الزهرة الوحيدة بشيء

غير حديقة تحضنها المساءات

و بعازف يحمل قيثارة الليل

يسكب أنغامها في أحزان الفصول و الظلال .

لا عيون لي أغسلها بالدموع

لا عيون لي .. أمضي مثل أعمى بين طرقات لا آخر لها

لا اليمين يقودني إلى غايتي و لا اليسار يصد إرادتي

الأرصفة تعرف حجم خطواتي التي أضبطها على مقاس حلم

و نظرة لا تصل هدفها

أتكئ على ظلال الذين ينتظرون حظهم من الشمس ليمتدوا طويلا في الهواء و لا يراهم العابرون

و أنظر بعيدا في لوحة أحتفظ

بها في ذاكرتي المحاطة بكل الأيام العابثة

أسمع أحدا يقول بأن السماء غائمة قليلا .. تفحصت قلبي كي لا يمطر .

لا أملك مظلة تقيني من زخات المطر و الحنين .

يقول الآخر .. لقد مر العام مسرعا

و لا زلنا هنا لم ننته من حوارنا

تذكرت أني نسيت حواراتي عندما كنت في المقهى زبونا وحيدا يمضي يوما بأكمله في ركن قصي بدون وقت

و تذكرت كيف تأتيني النادلة بقهوة مجانية بشكل سري ..

قال الآخر بعدما حوقل .. قوموا من أمكنتكم حتى تعبر الجنازة ..

سمعت صوت امرأة بالقرب من عمود كهربائي تبكي ابنها الذي هاجر و لم يعد بعد ..

أشعرتني بالبكاء ،

لكني لا أملك عيونا أغسلها بالدموع .

الذكريات مهرجان أبدي

في ذاكرتي .. يحدث أن تنجز الذكريات موعدا لها لتقيم حفلة

من حفلاتها الاستثنائية كلما تعبت من رتابة النسيان

تأتي مثقلة بالأنين و الحزن و كل الأشياء المقدسة في حضرة الوحدة

،غير مهتمة لنظرات العابرين الذين لا يعدون خطواتهم و لا يدرون وجهاتهم

نجلس معا .. و دون مقدمات نفتتح لقاءنا بأغنية منسية

كل الإيقاعات مباحة في فصل الوحدة

مادامت الأغاني يوحدها مقام الصمت

تشرق ماية أطلسية من اللا شعور لتضفي حالة

من الصمت الصاخب على مسرح الذاكرة

نعد الأوتار التي صنعت مجد ألحاننا القديمة

و نبارك الأصابع العازفة

تأخذني إليها بلطف .. تحاول أن تفك رموزي التي تركتها مفضوحة على الطاولة

و أصمت أكثر متوغلا في متاهات السفر والرحلة الأخيرة

أستعيد بوعي كل الحدود التي عبرتها وحيدا

و كل المدن التي زرتها دون رغبة

أترك قهوتي بين أصابعنا .. نرتشف منها حنينا بطعم الوجع

قالت ....لا تنتهي الحفلات الرسمية إلا في المناسبات

أما في الذاكرة ، فإنها مهرجان أبدي .

المدينة العابسة

المدينة عابسة جدا ..

تبدو مثل عجوز نسيت كيف تضع مساحيق التجميل بعناية ، و أصبحت التجاعيد شاهدة على مآثر زمن غيرمنصف

يتطاير الغبار هو الآخر ليهرب من هذه الأرض على الأقل ، فهو يعانق السماء قليلا

منتشيا بالإنتقال إلى موضع آخر

الآن وقت الغروب .. كل المدى شاحب و حزين

العصافير وحدها لا تخون مبدأ التغريد ،

إكراما للألم و الفرح ... و الأشجار

عكس الفصول و السماء و الأفق الغربي .

الغروب لم تكتمل لوحته ..

الصورة ضبابية جدا مثل حلم لا أتذكر تفاصيله

لا جهة صافية أنظر إليها كما أشتهي ،

فقدت شهية النظر البعيد و التأمل

هنا قطة صغيرة جدا تتنقل بين أرجل الطاولات و المقاعد ، لكنها لا تأكل " الحرشة " . هذا ما أستطيع أن أهديها رفقا ببرائتها

تنظر إلي و تمضي غير مبالية كأنها تقول لي : " سوقك خاوي " .

.. ابتسمت لأنها محقة إن قالت حقا كذلك ..

أحيانا أفهم لغة الحيوانات الأليفة حين يكون فيها

" خشيان لهضرة " .

قطرات المطر تتساقط في هذا الوقت بالتمام ..

كي لا يغير الغبار جنسيته ..

وردة الجزائرية تغني من بعيد ..." خليك هنا " .

في المقهى يحدث أن ترى الغياب يرتشف من قهوتك

و لا تستطيع أن تفعل شيئا

و ترى في بقايا قهوتك ما عجزت عن رؤيته في وجه المدينة .

إلى صديقتي البعيدة

دام الشقاء نابضا فينا إلى أن يولد الفرح من جديد

و أما بعد يا شقية ..

لقد تمزق سروالي الوحيد الذي أملكه

و صار غير صالح للقاءات الثنائية

لا أفكر في اقتناء سروال جديد أو مستعمل، سأتضامن مع أطفال الجبال و القرى النائية كي لا أصاب بالغرور ،

و لأشعر بالبرد أيضا ..

هكذا سأوفر ثمن القهوة لأسبوع كامل ...

و هكذا سأضع حدا لغيرتك الزائدة، لعلك تقتنعين بوفائي لك و إخلاصي

بالأمس يا صديقتي، سألتني النادلة سؤالا بريئا و محرجا ..

قالت لي أين رفيقتك ؟

قلت لها بعد أن شربت كأسا من الماء ..

لقد غابت منذ أن تغير لون شعري و تساقط

ضحكت كثيرا بهستيريا حتى ظننتها جنت

قالت .. نحن النساء وفيات جدا ..

لا تخف .. ستعود بعدما تدرك أنك لا تحلق لحيتك باستمرار ..

لعنتها بابتسامة مصطنعة ، و طلبت منها أن تغير قناة إخبارية بأخرى أقل صدقا منها ..

ما عدت أحتمل الصدق منذ أن تركت طيفك

هنا معي و غادرت إلى حيث أنت الآن .

هل تباع السجائر بالتقسيط هناك ؟

و هل هناك مكان في الرصيف لماسح الأحذية

و المتسول و بائعة " الحرشة " ؟

متى ينام الفقراء هناك ؟ أبنفس توقيت فقراء العالم الثالث

أم لهم فقر غير الذي يحول بيني و بين سروال جديد ؟

لقد اشتريت مؤخرا كتابا لتعلم الطبخ و الوجبات التي تهيأ على الأرصفة

سأحتل مساحة في رصيف محتل ، لعلي أجمع مالا كثيرا لأجرب متعة السفر .. سأرسل لك صورا كثيرة رفقة عربتي الجميلة .

و صورا أخرى لي و أنا أقطع البصل و أصنع " المعقودة" كي تطمئني ...

أحتاج دعواتك فقط

قد تجمعنا الأقدار هناك في مقهاك الجديد أو في مكان آخر ،

و نقرأ جريدة منسية و نستمع معا إلى " محمد رويشة و مارسيل خليفة و مبارك أولعربي ".

للإشارة ...

لا زلت أحتفظ بصفحة خاصة بالكلمات المسهمة

أنتظر إلى أن نلتقي، كي نلقي الحرب عليها كما كنا نفعل

قبل أن تفرقنا سبل الحياة .

" أكتبي إلي عندما لا تكونين بخير ".

مشاهد مساء سيء

الحزن مشرق في زوايا المدينة مثل فانوس منسي

في منزل مهجور

الأرصفة تتكلم لغة الخطوات السريعة ..

و العيون من باحة المقهى تنتقد مؤخرات النساء .. بعفة !

صوت الإذاعات و المقرئين ينبعث من الدكاكين

الغارقة في الإنتظار

طفل على كرسي متحرك ينظر بعجز إلى كرة تمر من جانبه ..

رجل أعمى يعد الأزقة في اتجاه بائعة الحرشة ، ليأخذ مثلثه المسائي دون أن يخطئ في العنوان

أم تضرب طفلها و تعنفه لأنه يريد قطعة حلوى عادية ..

و في جيبها ثمن مساحيق التجميل فقط

يا أنت .. أين أنت ؟

لقد مر الكل من أمامي هذا اليوم إلا أنت .....

رأيت كل المشاهد التي لا أريد أن أراها . و حزنت قليلا

لأني لا أستطيع أن أفعل شيئا ...

لا أستطيع يا حبيبتي ....

أخشى عليك من هذا الضياع المزمن الذي لن يعيد لجسد المدينة رقعته الأصلية ..

و أخشى عليك من الأصابع التي توقع على " نعم "

و تقول مع الثائرين " لا ".

مشهد عشق قديم

في الساعة الأخيرة من مشهد عشق قديم ..

كنا نصمت كثيرا لنفكر في الكلام الذي لم يعد له طعم الكلام

ننظر إلى ما وراء المكان لعلنا نجد شيئا لم نقله بعد

ربما سنملأ به فراغ المساء الأخير

المقاعد بيننا عبارة عن حدود صنعناها

كي لا نقع في الحرب مجددا

بيننا حقيبتها ..

و جريدة وضعناها جانبا بعدما اتفقنا على أن قراءة الأبراج رجس من عمل الشيطان

صمتنا طويلا ...

و تهنا في الغياب الذي نعد له تابوتا يتسع لأحزان تجربة حب غير مستقيمة

قالت و هي تنظر إلى السماء بعينين ذابلتين ...

يليق بنا البعد كي نظل قريبين أكثر

نظرت إلى السماء بدوري لعلي آتيها برأي سديد .

مسحت مؤخرة رأسي في محاولة لإنجاز كذبة صغيرة

أبيح بها أن البعد مؤلم أكثر و مقرف

فشلت في صياغة جملة قصيرة جدا لا تتعدى تنهيدة و اعتراف

ظللنا نعبث بنظراتنا في وجوه المغادرين و هم يتسللون بوضوح من درج المقهى أزواجا

قلت لها صادقا ..

يؤسفني أننا سنغادر هذا المكان فرادى كما دخلناه أول مرة

تبادلنا ابتسامة أقل صدقا ..

و لا زلنا في المكان نفسه .. ننتظر من يبادر بالمغادرة .

الحزن يليق بنا يا معشر الفقراء

مثل قهوة المساء .. أحتسي كل الأحزان مرتشفا مرارة الأيام

أذوب في الوقت منتظرا كل الأشياء البسيطة جدا .. مثل الحلوى

و قطع الشوكولا .. و لعبة لم تدم طويلا في مملكة طفل صغير ..

أحاول أن أرسم بالكاد ضحكة على جبيني ليفرح ذاك الطفل الذي يعيش بداخلي

و تخونني القسمات التي يستعصي علي مسح آثار الحزن منها

أعد عمري الذي لا أذكر من أين و كيف أتى

أقبض على السنوات العابرة بانكسارات لا تنتهي ... و حسرة بحجم الوطن

أين أخبئ أحلامي بعد هذا التعب ؟

لا مكان لها في ذاكرتي .. لقد جفت كل الحدائق التي كان الورد يزهر فيها عبر الفصول كلها ... صارت صحراء تبتدئ من أول

خطوة إلى آخر حبة رمل ..

كل عابر ينسى الألوان جميعا في صحراء العمر ..

و لا يستحضر إلا جرعة ماء كي لا يموت عطشا ..

الأحلام صارت معتقلة .... و يؤسفني تعاطفي المخجل معها

لن أحلم أبدا في وطن صارت فيه الحقوق حلما ...

لن أخون حزني بضحكة خلت أني أنتصر بها على الحياة

فالحزن يليق بنا معشر الفقراء

""هكذا قال لي صديق لا وطن له ""

مُرة مثل الغياب

تقول صديقتي البعيدة بعدما أضناها الشوق و الإغتراب ...

كل الأوطان ضيقة إلا حضنك

فهو الوطن الوحيد الذي أشعر فيه بأني على قيد العناق

كل الدقائق ساعات في غيابك إلا في حضرتك ..

تصير الأيام ثوان و لا أبالي بسرعتها

و تضيف قائلة ...

أجلس في المقهى كما تجلس ، أطلب قهوة بقطعة سكر

لا أهتم لجريدة منسية رغم تاريخها الجديد

أضع حقيبتي في المقعد الذي كان بإمكانك أن تتخذه مكانا لك لولا لعنة الحدود الفاصلة بيننا

أرتشف حضورك هنا

و بعد كل رشفة أعيد ذراعي إلي لأعانقك

من جديد .

أبحث عن أغنيتك المفضلة ليكتمل المشهد

الذي أتخيله .

أستمع إليها و أبكي بحرقة مسافر لم يعد بعد .

أنظر حولي .. و أجد طاولات المقهى غارقة في كلمات الترحيب و الإستقبال

أتذكر أول مرة دعوتني لنجلس معا في مقهاك المفضل ..

كنت خجولة و مرتبكة و سعيدة كذلك ..

و أذكر أول مرة أرتشف من قهوتك بعد إصرارك

قلت لك .. إنها مرة مثل وطننا ..

ابتسمت بلطف وقلت لي .. بل مرة مثل الغياب

لم أجد لتعبيرك لحظتها أي معنى ..

لكني الآن . أدركت كم كنت صائبا و بليغا في وصفك

هل تذكر هذا أيها الشقي ؟؟

يروق لي أن أناديك هكذا لأني أتقاسم معك الشقاء كله

و أتقاسم معك قهوتك و الغربة

و أتقاسم معك الحروف التي ابتليت بها بسببك ...

لقد مزقتني هواياتك التي أدمنتها

صرت أبحث في كل يوم عن كتاب لأنافسك

في القراءة أيضا . لست حسودة ،بل أعمل بنصائحك التي لم أستطع التحرر منها ،كي نبقى معا

هل تذكر عندما قلت لك بأني لست عادية ؟

لم أتوقع منك ذاك الجواب الذي أضأت به ضوء قلبي لتعبر إلي بأمان

قلت لي .." أحب الإستثناء و الفرادة ..

لو كنت عادية ما أحببتك ".

لن أشكرك لأنك لا تقبل شكري ..

لكن اعلم أنك جرعتني مرارتك و إدمانك ،

و لم تنصفنا الغربة و لا الحب.

كن بخير أيها الشقي ..

فأنا شقية مثلك أيضا .. و مرة مثل قهوتك .

حب غير مستقيم

لم أستطع بعد أن أتحرر من حبك ، لا يزال أثر خطواتك منتصبا على أرصفة القلب.... أطلالا

في كل صباح أتفحص وجه ساعي البريد و أقرأ في أساريره تفاصيل الغياب ، أتبعه بنظراتي إلى أن يختفي في الزقاق البعيد

لأدرك أنه لم يحمل لي أخبارا عنك .

أعود إلى رسائلنا القديمة لأستعيد لون الورود في خريف الحب

و ذبولها في مزهريات الإهداءات الباطلة

لم نكن حبيبين فقط ..

بل كنا جملة بين قوسين ،

تقرأ من كل الجهات و لا يتغير معناها

أنت في الغربة ترتبين خطواتك بإتقان كي تثيري فضول العشاق الجدد

و أنا في الوحدة أعيد ماض لم نودعه

كي نحتفل بذكرى حضوره كل خريف

و بين غربتك و وحدتي تموت الكلمات ببطء بيننا ، لأن ساعي البريد نسي عناويننا..

و مواعيدنا التي لم تكتمل .

كان يجب أن نرتب الرحيل أولا قبل الحب . فالنهايات لا تواريخ لها . إنها تولد مباشرة بعدما يتم أول لقاء بطاولة.. و مقعدين ..

و لا يأتي أحدنا !

""عفوا .. لقد نسيت أن أخبرك أن ساعي البريد صارت له دراجة نارية و لم يعد يمر من أمام منزلنا

لأن دربنا لم تستقم أزقته بعد ..تماما مثل حبنا .

حين ترتعش الذاكرة

أيتها المقيمة في ذاكرة المدينة

لا يزال عطرك الأطلسي يكنس الأحياء من غبار النسيان

و ينثر عبيره في درب

يحتفظ بأسمائنا على الجدران

لم يتغير أي شيء ..

غير حضورك المسائي الذي أدمنته

صار الغياب لحنا مقيما فينا

و صرنا أناشيده الرسمية في موسم الأحزان

لم يتغير لون الحدائق و الممرات المظلمة

و المصابيح التي كانت تراقبنا ..

تعطلت ..

إلا تلك التي رميناها بالسلام ذات حب

مازالت تضيء المكان

يشع منها الشوق خجولا مثل ابتسامتك

هل تذكرين غربتنا ذات شتاء ؟

أنا لا أذكر إلا ارتعاش الأصابع حين أكتب إليك

ما أجمل الذكرى حين ترتعش في الذاكرة

أيتها الغائبة ...

أخشى أن يصير الغياب عاديا مثل الوطن

يسكننا و لا نسكنه .

حمى الحنين

فنجان قهوة .. أفكار مبعثرة تعبر الذاكرة ذهابا و إيابا ، و لم يفلح العقل في ترتيبها بعد

أرتشف حبها بدل القهوة .. و يكبر في الحنين إلى شيء لا أعرفه .

أبحث عنها في قواميس المساء دون أن أعثر على دليل يقودني إلى متاهاتها المستعصية ...

أنظر إلى الساعة المعلقة على الجدار

و أجد عقاربها متعبة جدا من عد الدقائق ..

تشير إلى الوقت الخطأ مثلي ..

أبتسم بأسف ، و أشكر اللّه مادام هناك تائهون كثر في هذا المساء .

أكتب لصديقة رسالة قصيرة و لا ترد . لأنها غاضبة مني ...

تذكرت أني لم أبارك لها زفافها الذي مر عليه عمري بأكمله .

أضع لها نقاطا ثلاثا في رسالة أخيرة . و نتصالح لأربع دقائق .. ثم نفترق في الدقيقة الخامسة ..

أبحث في هاتفي عن أغنية قديمة لأجدد بها أيامي و حبي ..

وأتذكر بوعي أني حذفت كل الأغاني الموقظة للحنين .

أغنية واحدة نجت بأعجوبة من عملية تمشيطية قمت بها في وقت متأخر من ليلة أمس ، و هي السبب في إصابتي بحمى الحنين .

كانت قد أرسلتها إلي في ربيع البدايات

و مازالت تنبض في شراايين الشعور

"" أوا نيخاش أورا غوري ماشيبضان أكيذي ""

الفهرس

الإهداء.....3

طويل هذا المنتصف.....5

في حلم ما.....7

لن أنتظر أحدا.....9

إليها ..تلك التي علمتني كيف أدمن المساء.....10

ذاكرة العيون.....12

صور ناقصة.....14

أصمتوا .. إنها تكرهني بحب عظيم.....16

غربة المدينة وحالة عشق غريبة.....18

لا مكان للمكان في مدينتي.....20

صباح جديد.....22

خمرة الأحلام.....23

الخروج عن النص.....25

لا أحد.....27

قلبي راية حب في وطنك.....29

سلام على مواليد برج الشقاء.....31

محطة الضياع.....33

نص عشوائي.....35

لا مكان للأجوبة 37
صباح الأحد..... 39
آخر الليل 41
العزلة 43
مدينة الأخطاء 45
منتصف الحلم 48
زهرة وحيدة في حديقة منسية 50
لا عيون لي أغسلها بالدموع..... 52
الذكريات مهرجان أبدي 54
المدينة العابسة 56
إلى صديقتي البعيدة..... 58
مشاهد مساء سيء 61
مشهد عشق قديم 63
الحزن يليق بنا يا معشر الفقراء 65
مُرة مثل الغياب..... 67
حب غير مستقيم 70
حين ترتعش الذاكرة 72
حمى الحنين..... 74